تغزلا والتغزل تكلف الغزل موكة وهو محادثة النساء هذا أصله ثم صار يطلق على ذكر أوصاف الجمال . وحلى الحسن والكمال . في الأشعار وغيرها وقوله وهو يحتمل أن يكون عائدا على أقرب مذكور وهو التغزل أو إلى الشاعر الذي هو حميد وقوله بعيد الغور أي بعيد الأدراك لا يستطاع الاطلاع عليه . والأحاطة به وأصل الغور القعر من كل شيء وهذا وصف يصح للتغزل وللشاعر يقال فلان بعيد الغور أي ثاقب الذهن لا يرى رأيه وقوله لا الظل من برد الضحى الخ نظم فيه البيت المستشهد به في الأصل لحميد وهو

فلا الظل من برد الضحى تستطيعه ولا الفيء من برد العشي تذوق

فعبد الناظم بطيعه مكان تستطيعه وهامة أدخان والبيت من أبيات أولها

أبى الدار إلا سرحة مالك على كل أفنان العضاة تروق

فقد ذهب عنا وأفوده لواط من السرح الأعشة وكوفه

وبعده فلا الظل من برد الضحى الخ وبعده

فإنا إن علاك نفسي بسرحة من السرح موجود على الطريق

قلت السرحة شجرة عظيمة تطول في السماء وبعظ سرح والعضاه شجر شوك كالسمر والسرح نوع منه وبعضهم العرب يقول للواحدة عضاهة والجمع عضاه وبعضهم يقول في الواحدة عضة وفي الجمع عضات وعضوات بالياء والواو كالسنة والعشة بفتح العين الهلة وتشديد الشين المعجمة النخلة إذا أكل سعفها ودقها سفلها قال جرير

فما شجرات عيصك من قريش بشاك الفروع ولا ضواحي

والعيص بالكسر الشجر الكثير الملتف والأصل والجوهر من النخل وغيرها الطويلة وإنما خص الشاعر السرح بالذكر دون غيره لأن ظله بارد ومتسع للاستظلال من لهب الحر وشدة الهاجرة ولذلك قال

فما سرحة الركبان ظلان بارد وماؤك عذب لو يباع لشارب

والسرح في هذا البيت وكذلك في بيت حميد كناية عن النساء لأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان توعد الشعراء أن لا يشبب أحد منهم بامرأة إلا جلده فكانوا

يكنون

يكنون عنهن بالأشجار الطيبات ونحوها فقال حميد الأبيات المتقدمة وقال أيضا

تجرم أهلها لأن كنت شعرا جنوبا بل أطول لهذا التجرم

وما لي من ذنب إليهم علمته سوى أنني قد قلت يا سرحة اسلمي

بلى يا أسلمي ثم اسلمي ثلاث تحيات وإن لم تكلمي

والشاهد في البيت الذي أنشده الناظم تبعا لأصله هو أنه عبر في الضحى بالظل وفي العشي بالفيء فدل ذلك على أن الظل خاص بالغداة والفيء خاص بالعشي وإذ لا يقال أحدهما في محل الآخر وقال شارح الأصل البيت لا حجة فيه لأن الشاعر إنما ذكره تكرارا للفظ عيناه فأعاده بلفظ آخر ولم يرد أن الظل لا يستعمل في العشي والدليل على استعمال الظل في العشي قول امرئ القيس

ولما رأت أن الشريعة هجرها وأن البياض من فرائصها دام

تيممت العين التي عند ضارج يفيء عليها الظل عرمضها طامي

وأطال في الاحتجاج والرد على من خصص الظل بالغداة والقول الثاني من القولين المختارين أن الظل أعم من الفيء لشمول ما كان في الغداة والعشي والفيء يختص بما بعد الزوال ونقله في الأصل عن أبي عبيدة عن رؤبة فقال قال أبو العباس يعني ثعلبا عن أبي عبيدة قال رؤبة كل ما كانت عليه الشمس فزالت عنه فهو فيء وظل وما لم تكن عليه الشمس فهو ظل والمعنى أشار الناظم بقوله . وقيل إن رؤبة أي وقال أبو العباس عن أبي عبيدة فحذفه لضيق النظم وهو كالإرسال عند المحدثين أن رؤبة كان يقول الفيء الذي كانت الشمس عليه أي فوقه فتزول أي تنتقل ويخلفه الظل فذلك الشيء الذي انتقلت عنه الشمس وزالت الفيء أي يقال له الفيء لأن الشمس فاءت عنه وجعلت ويقال له الظل لأنه ستر به الشمس ومعاد على ما تقدم في أمثاله والظل هو الشيء الذي علم تلك فيه الشمس قبل ولا حلت فيه . وفي نسخة لم تك ثم أي في ذلك الموضع قبل أي قبل الوقت الذي لم توجد فيه وقد اختار هذا القول جماعة أيضا وأولع أرباب التآليف كالجوهري والفيومي وغيرهما بنقله عن أبي عبيدة عن رؤبة تبعا لأبي العباس .

قلت ورؤبة هذا هو رؤبة بضم الراء المهملة وسكون الهمزة وفتح الموحدة ابن العجاج بن رؤبة بن لبيد بن صخر بن كعب بن عمير بن علي بن ربيعة بن سعد

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)